
حكايات كليلة ودمنة
18
الطائر الحكيم
بقلم :أ. عبد الحميد عبد المقصود
بريشة :أ. عبد الشافى سيد
إشراف :أ. حمدى مصطفى



(١) الطَّائِرُ الْحَكِيمُ

يُحْكَى أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْهِنْدِ كَانَ يُدْعَى بِاسْمِ الْمَلِكِ (بريدون) ..

وأنَّ هذا الْمَلِكَ كَانَ لَهُ طَائِرٌ حَكِيمٌ يُدْعَى بِاسْمِ الطَّائِرِ (فَتْرة) .. وكَانَ (فَتْرة) طَائِرًا ذَكِيًّا جِدًّا ..

وكَانَ لِهذا الطَّائِرِ فَرْخٌ جَمِيلُ الْمَنْظَرِ ، وكَانَ الطَّائِرُ يُحِبُّ فَرْخَهُ الصَّغِيرَ حُبًّا لا نَظِيرَ لَهُ ..

وكَانَ الطَّائِرُ وفَرْخُهُ يُجِيدانِ الْغِنَاءَ والْكَلامَ ، بِأَحْسَنِ مَنْطِقٍ ، فَكَانَ كُلٌّ مِنْهُما أُعْجُوبَةَ عَصْرِهِ ..

وكَانَ الْمَلِكُ مُعْجَبًا بِالطَّائِرِ وفَرْخِهِ غَايَةَ الإِعْجَابِ ، فَجَعَلَهُما فِي أَحْسَنِ مَكَانٍ بِقَصْرِهِ ، وأَمَرَ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِما ..

وكَانَ لِلْمَلِكِ طِفْلٌ صَغِيرٌ ، فَكَانَ الطِّفْلُ يَلْعَبُ مَعَ فَرْخِ الطَّائِرِ ويَلْهُوانِ وَقْتًا طَوِيلاً

مِنَ النَّهارِ ، فأحبَّ كُلٌّ منهما الآخرَ ، واعتادَ عليه ، ولمْ يعُدْ قادرًا على فراقه ، أو الاستغناء عَنْهُ ..

وكانَ الملكُ سعيدًا لأنَّ ابنَهُ يجدُ سعادتَهُ في اللَّعبِ مع فرْخِ الطَّائرِ الحكيم ..

وكانَ الطائرُ الحكيمُ (فترةُ) يذهبُ إلى الجبلِ البعيد كُلَّ يومٍ ، ويأتي بفاكهةٍ غريبةٍ لمْ يسمعْ عنها ، ولا رآها أحدٌ في هذه البلاد ، فكانَ يطْعِمُ فرخه نصفَها ، ويطْعِمُ نصفَها الآخرَ لابنِ الملك ..

وبسببِ هذه الفاكهةِ الغريبةِ النَّادرةِ ، كانَ ابنُ الملكِ ينمُو ويكبُر بسُرْعةٍ لم يعْرِفْها أحدٌ في الغلمانِ منْ قبلُ ..

وبسببِ ذلكَ ازْدادَ حُبُّ الملكِ وإكرامُهُ لطائرِه الحكيم (فترة) ..

هكذا كَانتِ الأُمورُ تَمْضِى بَيْنَ ابْنِ الْمَلِكِ والطائِرِ الحَكيم وفَرْخِه ..

حتى كانَ ذاتَ يَوم ، وحدَثَت الْكارِثَةُ ..

كيْفَ كانَ ذلكَ ؟!

كعادَته كلَّ يَوْمٍ طارَ الطائرُ الحَكيمُ إلى الجَبَلِ الْبَعيدِ ، ليُحْضِرَ الْفاكِهَةَ الْغَريبَةَ ، التى اعْتادَ أنْ يُطْعِمَها فَرْخَهُ وابْنَ الْمَلِك ..

وكعادَته كلَّ يومٍ جلس ابْنُ الْمَلِكِ يلْعَبُ مع صَديقِه فرخ الطائر الحَكيم ..

ويَبْدُو أنَّ مزاجَ فَرْخِ الطائرِ الحكيم كانَ ثقيلاً ذلك الْيوْمَ ، لأنَّ ابْنَ الْمَلكِ لمْ يَحتَمِلْه ، فقدْ نقرَ فرْخُ الطائرِ ابْنَ الْمَلِكِ نَقْرَةً قَويَّةً فى رأْسه ، فتضايَقَ ابْنُ الْمَلِكِ وغَضِبَ بشِدَّة ، فأمْسكَ فرخَ الطائرِ ، وضَربَ به الأرْضَ بقُوَّةٍ ، فماتَ الطائرُ الْمِسْكينُ فى الحَالِ ..



مات فرْخُ الطَّائرِ الحَكيمِ فى لحظةِ غضبٍ على الغُلامِ الطَّائشِ..

وجلس ابْنُ المَلكِ يبْكى حُزْنًا على صَديقِه ، الذى قتلَهُ فى لحْظةِ غضبٍ..

وبعْدَ قليلٍ عادَ الطائرُ الحكيمُ يحْملُ الفاكهةَ الغريبةَ ، فلمَّا وجدَ فرْخَهُ مقْتولاً حزِنَ حُزْنًا شديدًا ، وصاحَ قائلاً فى غضبٍ :

ـ تبًّا للمُلوكِ الذينَ لا عهْدَ لهُمْ ولا وفاءَ .. ويْلٌ لمَنِ ابْتُلى بصُحْبَةِ المُلُوكِ الذينَ لا أمانَ لهمْ ، ولا حُرْمةَ لدمِ أحدٍ عنْدَهُمْ ، الذينَ لا يُحبُّونَ أحدًا ، ولا يُكْرِمونَ أحدًا إلاَّ إذا طمِعُوا فيما عنْدَهُ منْ مالٍ ، واحْتاجوا إلى ما عنْدَهُ منْ علْمٍ ، فيُكْرِمُونَهُ لذلكَ ، فإذا ظفِرُوا بحاجتِهمْ منْهُ ، فلا وُدَّ ولا إخاءَ ولا إحْسانَ ..



ومنْ شدَّة غيْظه وثبَ الطائرُ فى وجْه الْغُلام ، فنقرَ عيْنه وفقأها ، انْتقامًا لمقْتل فرْخه الْمسْكين . . ثم طار فحطَّ على شُرْفة الْقصْر ، قبْل أنْ يتمكَّن خدمُ الْملك من الإمْساك به . .

وعلم الْملكُ بما حدث لابْنه على يد الطائر الْحكيم ، فغضب غضبًا شديدًا ، وأقْسم فى نفْسه أنْ ينْتقم من الطائر الحكيم . .

وقرَّر الْملكُ أنْ يحْتال للإيقاع بالطائر الْحكيم ، فوقف قريبًا من الشُّرْفة ، وناداهُ قائلاً :

ـ أيُّها الطائرُ الْحكيمُ ، انْزلْ . . تعال إلَىَّ . . إنك آمنٌ على حياتك . .



فقالَ الطائرُ :

ـ أيُّها المَلِكُ ، إنَّ الغادرَ مأخوذٌ بغدرِه ، وإنَّ ابنَكَ قدْ غدرَ بابْني فعَجَّلْتُ لهُ العُقوبَةَ ..

فقالَ المَلِكُ :

ـ لقدْ غدرْنا بابْنِكَ ، فانْتَقمْتَ منّا ، فليْسَ لكَ عندَنا ثأرٌ ، وليْسَ لنا عنْدَكَ ثأرٌ .. ارجِعْ إليْنا آمِنًا يا (فترة) وانْسَ كُلَّ ما حدثَ ..

فقالَ الطائرُ :

ـ لنْ أرْجِعَ إليْكَ أبدًا أيُّها المَلِكُ ، لأنَّ أصْحابَ العُقولِ قدْ نهَوْا عنْ الاقْترابِ ممَّنْ لهُ ثأرٌ ..



فقالَ الْملكُ :

ـ لقدْ بدأْناكَ نحنُ بالْغدْرِ ، وأنتَ لم تزدْ على أنْ أخذتَ ثأرَكَ فقطْ ، فما ذنْبُكَ ؟ ارْجعْ وأنْتَ آمنٌ ..

فقالَ الطائرُ :

ـ إنَّ الأحْقادَ تظلُّ كامنةً في الْقلوبِ ، حتى تُدْرِكَ ثأرَها ..

والألْسنُ لا تَصْدُقُ في حديثِها ، ما أراكَ إلا تستدْرِجُني بطيِّبِ الْكلامِ ، حتى أقعَ في يدكَ ، فتنالَ ثأرَكَ مني ..

فقالَ الْملكُ :

ـ منْ كانَ ذا عقْلٍ كانَ على إماتةِ الْحزْنِ أقْدرَ منهُ على تغْذيتِهِ وإحْيائِهِ ، والْعاقلُ الكريمُ هو الذي لا يتْرُكُ إخوانَهُ وأحبَّاءَهُ منْ أجْلِ أوْهامٍ زائلةٍ ، وتصوُّراتٍ باطلةٍ ..





فقالَ الطائرُ :

ـ الْكلامُ جَميلٌ ولكنْ تَنْفيذُهُ صَعْبٌ ، ونسْيانُ الْعَداوةِ أصْعبُ منْهُ .. ما أراكَ إلاَّ تحْتالُ إلى اصْطيادى حتّى تقْتُلَنى .. ولهذا فأنا أقولُ لكَ وَداعًا لا لقاءَ بَعْدَهُ ..

قالَ الطائرُ الحكيمُ هذه الكلماتِ وانْطلقَ طائرًا إلى حيْثُ لا يَدْرى الْملكُ أيْنَ يذْهبُ .. أما الْملكُ فقدْ تمَلَّكَهُ الْغيْظُ والحنَقُ من أجْلِ الطَّائرِ الذى لم يَسْتطعِ الإيقاعَ به ، حتّى يُدركَ منْهُ ثأرَه ..

(تمت)

(٢) قَلْبُ الحِمارِ

يُحْكَى أنَّ أسدًا ضاريًا كانَ يعيشُ وحيدًا في غابةٍ كثيفةِ الأشْجارِ ، بعيدًا عنْ جماعةِ الأُسودِ ..

وكانَ يُقيمُ معَ الأسدِ حيوانٌ وحيدٌ هو ابنُ آوى ، فكانَ يَخْدُمُه ، ويأْكُلُ منْ فضلاتِ طَعامِه ..

ومضَى على ذلكَ وقْتٌ طويلٌ ..

حتى كانَ ذاتَ يومٍ ، فأصابَ الأسدَ ضعفٌ وهُزالٌ شديدان ، فلمْ يعدْ قادرًا على الخروجِ للصَّيْدِ ، ومُطاردةِ الفرائسِ وقَنْصِها ، كما كانَ يحدُثُ من قبلُ ..

وبسببِ ذلكَ ازْدادتْ حالةُ الأسدِ سُوءًا وضعْفًا ، وكادَ يهلِكُ منَ الجُوعِ ، وكادَ ابنُ آوى أيضًا يهلِكُ منَ الجوعِ .





فقال للأسد :

ـ ما بالك يا سيد الوحوش وزعيم السباع قد تغيرت أحوالك ، وهزل جسمك .. أليس لهذا المرض الذى أصابك من علاج ولا دواء ؟!

فقال الأسد :

ـ هذا المرض الذى أجهدنى وهدنى ليس له إلا دواء واحد ..

فقال ابن آوى :

ـ صف لى ذلك الدواء ، وأنا أحضره لك فى الحال يا سيد السباع ..

فقال الأسد :

ـ ليس لمرضى إلا دواء واحد ، وهو أن آكل قلب حمار وأذنيه ..

فقالَ ابنُ آوَى :

ـ هذا دَواءٌ سَهْلُ الحُصول عليه يا سيِّد السِّباع ..

أنا أعْرِفُ حمارًا يملكُهُ طحّانٌ ، ويُقيمُ في مكانٍ قريبٍ منْ هُنا .. سوف أذْهبُ لأحْتالَ عليه ، ثم آتيك به إلى هُنا ..

فدعا لهُ الأسدُ بالتّوفيق في مُهِمّته ، وشكرهُ على هذا الاهْتمام منْ أجْله ..

وانْطلق ابن آوى بادئا رحلته إلى المكان الذى يُقيمُ فيه الحمارُ مع صاحبه الطّحان ، وهُو يفكّرُ في حيلة يحْتالُ بها على الحمار ، حتى يسْتدرجهُ إلى عرين الأسد ، فيصيدهُ ويأكل هو ما تبقّى من الأسد ..



وعنْدَما اقْتَربَ ابنُ آوَى منَ الطَّاحونَة رأى الْحـمارَ واقِـفًا أمامَـهـا ينْتَظِرُ خروجَ صاحِبه ليُحَمِّلَهُ بالأحْمال الثَّقيلَة ، فحيّاهُ وقالَ له :

ـ مالِى أراكَ أيُّها الْحِمارُ ضعيفًا مهْزُولاً ، كأنَّك لمْ تأْكُلْ مُنْذُ سنة ؟!

فقالَ الْحِمارُ :

ـ إنَّ صاحِبى يُحمِّلُنى بالأحْمالِ الثَّقيلَة ، كُلَّ يومٍ من الصَّباحِ حتى الْمَساء ، ولا يُطْعِمُنى إلاَّ أقلَّ الْقَليل ..

فقالَ ابنُ آوَى :

ـ وكيْفَ ترْضَى الإقامَةَ معهُ على هذا الذُّلِّ ؟!



فقالَ الْحمارُ :

ـ ليْسَ لي حيلةٌ في الْهربِ ، ثم إن الإقامةَ معَ هذا الطحّانِ أفْضلُ منْ غيْرِه ، لمْ يشْترِني إنْسانٌ إلاَّ أضرَ بي أشدَّ الضررِ ، وحمّلني فوقَ طاقتي ..

فقالَ ابنُ آوى :

ـ أسْتطيعُ أنْ أدلّكَ على مكانٍ معْزولٍ عنِ النّاسِ ، لا يمرُّ بهِ إنْسانٌ .. مكانٍ مليءٍ بالمرْعى الخصبِ ، يعيشُ فيهِ قطيعٌ منَ الحميرِ ، لمْ أرَ مثلَها سمنًا ولا شبعًا في حياتي ..

فقالَ الْحمارُ

ـ إذا فعلْتَ ذلكَ سأكونُ شاكرًا لكَ ما حييتُ ..

فقالَ ابنُ آوى :

ـ لا شُكْرَ بيْنَ الإخْوانِ يا أخي .. هيّا بنا ..



وانْطَلق ابْنُ آوى مع الْحمارِ ، حتى وصَلا إلَى الْغابَة ، التى يُقيمُ فيهاالأسَدُ ، وأخذَ الْحمارُ يرْعَى ، بيْنما تقدَّمَ ابنُ آوى إلى مَخْبأ الأسد ، فأخْبرهُ بمكانِ الْحمارِ ..

وخرجَ الأسدُ إلى الْحمارِ ، فأرادَ أنْ يثِبَ عليْه ليقْتُله ، لكنَّ ضعْفَهُ الشَّديدَ منعَهُ ، وأسْرعَ الْحمارُ يجْرى هلعًا ، فقالَ ابنُ آوى للأسد :

ــ هلْ عجزْتَ عنْ صيْدِ الْحمارِ يا سيِّدَ السِّباعِ ؟!

فقالَ الأسدُ :

ــ إنْ أحْضرْتَهُ مرَّةً أُخْرى ، فلَنْ ينْجُوَ منِّى ..

فذهبَ ابنُ آوى إلى الْحمارِ وقالَ لهُ :

ــ ما الذى جرَى لكَ ؟! إنَّ أحدَ الْحميرِ قدْ رآكَ غريبًا عنِ الْمكانِ ، فخرجَ يستقْبلُكَ ويرحِّبُ بكَ ، لوْ ثبتَّ لهُ لأخذَكَ ومضَى بكَ إلى أصْحابه من الْحميرِ ..

ولمْ يكُن الْحمارُ قدْ رأى أسدًا قبلَ ذلكَ ، فصدَّقَ ابنَ آوى ، وعادَ معهُ إلى الأسد مرَّةً أُخْرى ..



وفى هذه الـمَرَّةِ اسْتَجْمَعَ الأَسَدُ كلَّ قُوَّتِه ، فوثَبَ على الْحمارِ بشدَّةٍ وقَتلَهُ . . ثم قالَ لابْنِ آوَى :

ـ احْرُسْ هذا الْحمارَ ، حتى أغْسِلَ يدَىَّ وأَعُودَ لأكْلِ قَلْبِه وأُذُنَيْهِ ، فإنَّنى أَرْجُو الشِّفَاءَ فيهما . .

فلمَّا ذَهبَ الأسدُ ليغْتسلَ ، أكَلَ ابنُ آوى قَلْبَ الْحمارِ وأُذُنيْه ، رجاءَ أنْ يتشاءَمَ الأسدُ ، ويتْرُكَ لهُ الْحمارَ كُلَّهُ ليأكُلَهُ هو وحْدَهُ . .

وعنْدما عادَ الأسدُ قالَ لابْنِ آوى :

ـ أيْنَ قلْبُ الْحمارِ وأُذُناهُ ؟!

فقالَ ابنُ آوى :

ـ ألَمْ تعْلَمْ يا سيِّدَ السِّباعِ أنَّ هذا الْحمارَ لو كانَ له قلْبٌ يفْقَهُ به وأُذُنانِ يسْمَعُ بهما ، لَمْ يكُنْ يرجعُ إليْكَ لتفترِسَهُ بعْدما أفْلتَ منكَ وكُتِبتْ لهُ النَّجاةُ فى الْمرَّةِ الأُولى ؟!

(تمَّتْ)

الكتابُ القادمُ

ابن آوى وزيرًا

رقم الإيداع : ٣/٥٥٦٩٩
الترقيم الدولى : X - ٨٨٤ - ٢٦٦ - ٩٧٧